

هل نستطيع أن نهزم أمريكا ؟

محمد السخاوي

١- المشكلة :

- أوضح الدكتور عصمت سيف الدولة أن المشكلة في العالم هي التناقض بين نزوع الشعوب الى الحرية وبين دول كأمريكا ونظم كالرأسمالية ، وسيطرة حضارية أوروبية واحتكام في نهاية المطاف الى القوة (الغرب كافة) ويطرح الدكتور عصمت سيف الدولة السؤال : كيف نحل هذه المشكلة ؟ ويجب بأن تسترد الشعوب حريتها بإزالة نقيضها ولو بالتدرج ، بمعنى ألا تتراجع الشعوب عن هذه الحرية ولا تتوقف ولا تساوم ولا تسالم مهما طال الزمن فالنصر معقود في النهاية للحرية ضد الاستبداد بحكم " جدل الإنسان " واستطرد الدكتور عصمت سيف الدولة قائلا : في هذا الإطار تعيش أمتنا العربية على وطنها وتتعرض لمثل ما تتعرض له شعوب الأرض ولكنها تعاني من مشكلة " عربية " التناقض بين نزوع الشعب العربي الى الحرية ، مثل كل الشعوب ، وبين حرمان الشعب العربي من أن يسترد حريته بفعل التجزئة الإقليمية التي تمثلها الدول الإقليمية ، فتصبح المشكلة الأولية التي يجب أن تحل كمقدمة لمساهمة الشعب العربي بما يستطيع في حل مشكلة الحرية على المستوى العالمي هي إلغاء التجزئة واقامة دولة الوحدة ، ولو بالتدرج أعنى ألا يتراجع عن هدف الوحدة ولا يتوقف أو يساوم ولا يسالم مهما طال الزمن فالنصر معقود في النهاية للوحدة ضد التجزئة ، بحكم " جدل الإنسان " جاء ذلك في مقالة كتبها الدكتور عصمت سيف الدولة تحت عنوان " تفتت الولايات المتحدة الأمريكية ووحدة الأمة العربية " ..

- ريجان يعلن الحرب العالمية الثالثة .. فقد نشرت الصحف يوم ١٦ أبريل ١٩٨٤ خبرا يقول الرئيس رونالد ريجان قد أصدر تعليمات بشن غارات انتقامية ضد الجماعات الإرهابية في خارج الولايات المتحدة الأمريكية وتوجيه ضربات وقائية إليها باستخدام القوة قبل أن تقع أى أحداث ، وأن هذه التعليمات قد جاءت كرد فعل للهجوم الانتحاري (الاستشهادي) الذي تعرضت له قيادة الأسطول الأمريكي في بيروت سنة ١٩٨٣ .. وقالت الصحف أن تلك التعليمات تتضمن تشكيل وتدريب فصائل عسكرية تابعة لوكالة المخابرات الأمريكية (سي - أي - ايه) ولمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي (مباحث أمن الدولة) ووحدات كوماندوز تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية (قوات مسلحة) ، وستزود بقائمة الإرهابيين في العالم من أجل التحرك بسرعة لتوجيه ضربات إجهاض إليها أو شن هجمات انتقامية ضدها ..

- بعد النصر العسكري الكبير الذي حققته الجيوش العربية في أكتوبر ١٩٧٣ ، والأثر الضخم الذي أحدثته الحظر البترولي الذي فرضته الدول العربية المصدرة ، حيث ارتفع سعر البرميل الى أكثر من ٥٣ دولارا .. قررت أمريكا أن لا تمكن العرب من تكرار ما حدث أبدا وذلك باحتلال منابع النفط ، ومن يومها والاستراتيجية الأمريكية تخضع للتطوير ، وبلغت ذروة التطوير بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، حيث جسدت التصريحات الأمريكية إعلان الحرب على العرب .. فقد أعلن " لورانسي ساي " المستشار الاقتصادي للرئيس الأمريكي بوش في سبتمبر ٢٠٠٢ أن البترول هو هدف الحملة الأمريكية على العراق .

وفي المقابل قال " بلير " رئيس وزراء بريطانيا أن البترول ليس هدف حملتنا على العراق . فلو كان البترول هو الهدف للحرب لكانت هناك وسائل عديدة غير الحرب وليس منها للحصول على البترول ، ومن هذه الوسائل الاتفاق مع صدام حسين نفسه .. وللوهلة الأولى يبدو التعارض بين تصريحات "

لورانس" و " بلير " والحقيقة لا تعارض بين القولين لأن الخطة الإمبريالية الصهيونية فى مواجهة الأمة العربية تتضمن البترول ولكنها أوسع وأشمل ، أنها تتسع لتتضمن إعادة رسم خريطة التجزئة العربية ، أى تفكيك الدول العربية بما يتوافق وتحقيق المصالح الإمبريالية الصهيونية على ضوء التطورات الراهنة فى الوضع الدولي .

- فى سبتمبر ٢٠٠٢ أصدر الرئيس الأمريكى " بوش " وثيقة بعنوان " الاستراتيجية الأمريكية للأمن القومى " ومما تضمنته هذه الوثيقة .. " أن عهد التعادل مع أمريكا من قبل دولة أو كتلة من الدول قد ولى الى غير عودة .. وأن على الولايات المتحدة وحدها أن تحدد النظام العالمى .. ويجب أن تكون الأقوى دائما لمنع أعداء محتملين من تحدى سياستها العسكرية وتفوقها .. كما تحدثت الوثيقة عن " توسع دائرة البنية من خلال فتح المجتمعات وبناء البيئة التحتية الديمقراطية " .

تطرح الفقرات الأربع السابقة من " الاستراتيجية الأمريكية للأمن القومى " ثلاث محاور لعمل الإدارة الأمريكية ، الأول : منهج الهيمنة والاستعلاء والعنصرية التى تعتبر أمريكا قوة فوق كل القوى ، قولها لا يرد .. الثانى : من حق أمريكا أن تضع يدها على عناصر القوة المادية اللازمة لها للحفاظ على هذا الانفراد فى القوة وأهم هذه العوامل البترول علما بأن احتياطات البترول فى الدول المنتجة ستنفذ قبل العقد الرابع من هذا القرن ما عدا احتياطات فنزويلا والخليج العربى التى ستمتد حتى نهايته .. الثالث : أن إرساء دعائم النظام العالمى الجديد - نظام القطب الأوحى - يتطلب أن تقوم الإدارة الأمريكية ، تحت غطاء الديمقراطية ، بتفكيك الأمم والدول المناوئة لسياساتها .

هذا المحور الثالث ، محور التفكيك ، لنا عليه ثلاث توضيحات ، التوضيح الأول أنه ينصب بشكل عام على الدول الإسلامية بسبب العداء للإسلام . التوضيح الثانى أنه ينصب بشكل خاص على الأمة والدول العربية لسببين : البترول والمتطلبات المباشرة لأمن وبقاء وجود الكيان الصهيونى على الأرض العربية المغتصبة فى فلسطين ، حيث أصبح من المعلوم بالضرورة فى قضية الصراع العربى الصهيونى أنه محكوم بتناقض ، رئيسى حاد بين الوجود القومى العربى والوجود الاغتصابى الصهيونى على أرض فلسطين العربية . . وهو ما يعبر عنه بشأن تكييف الصراع بأنه صراع وجود لا صراع حدود . وهو ما يعنى أن تفكيك البنية التحتية المجتمعية للأمة العربية تحت غطاءات ديموقراطية أثنى طائفية أو عرقية ، وكذلك تفكيك الدول العربية واستبدال سايكس / بيكو القديمة بسايكس بيكو جديدة - وهذا يعنى - أن التفكيك هو الشرط الموضوعى لأمن وبقاء الوجود الصهيونى . وهنا يجدر الربط العنصرى بين وثيقة بوش للأمن القومى الأمريكى ، وبين الوثيقة الصهيونية " استراتيجية اسرائيل فى الثمانينات " كالربط الذى أكده الباحثون السياسيون والتاريخيون بين مقررات المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ وبين وعد بلفور اتفاقيه سايكس / بيكو . هذا الربط هو المكون الأساسى للحلف الإمبريالى الصهيونى على الأرض العربية . وما احتلال العراق وتقسيمه ووضع خريطة طريق قديم لتقسيم السودان واعتبار المقاومة الفلسطينية إرهاب . والتحرش المتصاعد بسوريا وفصم عرى العلاقة الخاصة بينها وبين لبنان . وإعادة صياغة المنظومات السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية فى الدول العربية - كل هذا - ما هو إلا محطات ، ضمن محطات أخرى على الطرق الاستراتيجية لتصفية الأمة العربية ودولها .

٢- فهل نستطيع أن نواجه أمريكا ونهزمها :

تجارب تاريخية :

ان هزيمة الطغيان والاستبداد والعنصرية سنة من سنن تاريخ الشعوب والأمم . فقد انهزمت الإمبراطوريات الفارسية والرومانية لحساب الخلافة الإسلامية . وكذلك الفرنسية والإنجليزية . وكما

انهزمت أيضا هذه الامبراطوريات وتراجعت أمام مقاومة الشعوب لنيل حريتها ، فان أمريكا انهزمت أيضا أمام هذا الزحف ، وسنذكر من تجارب هذه الشعوب ، ست تجارب معاصرة ، ثلاثة منها ذات صبغة عسكرية ، وثلاثة ذات صفة سياسية ، مع أخذنا في الاعتبار أنه لا توجد خطوط فاصلة بين ما هو سياسى وما هو عسكرى .

ولنبداً بالثلاثة الأول :

٢-١ فيتنام :

استخدمت أمريكا فى حربها ضد قوات الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام " ألفيت كونج " الأسلحة التقليدية وغير التقليدية من الأسلحة النووية التكتيكية . وبنيت القيادة الفيتنامية هو تشى منه وجنرال جلوب - على عاملين ، الأول منها أساسى والثانى بمثابة عامل مساعد ، وقد بنى العامل الأول على تعبئة الأمة الفيتنامية كلها فى الشمال والجنوب لمواجهة أمريكا تحت قيادة الفيت كونج ، القيادة التاريخية الفيتنامية لم تعترف بالتجزئة الامبريالية للأمة الفيتنامية ، ان التجزئة الامبريالية للأمة الفيتنامية لم تقف حائلا أمام الملكات التنظيمية لكوار " الفيت كونج " الساعية لتحقيق الوحدة الثورية للشعب الفيتنامى وتشكيل ميليشيات شعبية على كل الأرض الفيتنامية ، وعلى ذلك فان كانت أمريكا قد حشدت مليون ونصف مليون جندى أمريكى ، مدججة بأحدث الأسلحة التقليدية والأسلحة النووية التكتيكية للاحاق الهزيمة بالأمة الفيتنامية ، فان الأمة الفيتنامية تعبت كلها بالملايين لمواجهة الغزاة الأمريكان وألحقت بهم هزيمة مدوية كانت فضيحة كبرى للولايات المتحدة الأمريكية .

أما العامل الثانى فى قوة الردع الفيتنامية ، الذى اعتبرناه عاملا مساعدا ، فهو الدعم الصينى والسوفيتى للأمة الفيتنامية ، فقد وظفت القيادة الفيتنامية التناقض الصينى السوفيتى بالإضافة الى حاجة كل من الدولتين إنهاك أمريكا ، أفضل توظيف فى الحصول على أعلى قدر متاح من الدعم العسكرى والسياسى من الدولتين .. وانتهت المجابهة بهزيمة أمريكا وانتصار الأمة الفيتنامية الفقيرة وتحقيق وحدتها .

٢-٢ كوريا :

ان القواعد التى حكمت المواجهة الكورية الأمريكية هي ذات القواعد التى حكمت المواجهة الفيتنامية الأمريكية ، وذلك لتشابه الظروف تشابها شبه تام بين المواجهتين مع إضافة عنصر الردع النووى والكيميائى الذى امتلakte كوريا الشمالية ، وهذا الردع الذى جعل من القوات والقواعد الأمريكية فى كوريا الجنوبية رهينة لدى كوريا الشمالية . فبعد هزيمة أمريكا أمام قوات الشعب الكورية ١٩٥١ تمركزت القوات الأمريكية فى جنوب الأمة الكورية ، وأنشأت العديد من القواعد العسكرية الأمريكية هناك ، وأمام هذا الوضع الجيو سياسى / عسكرى ، انقسمت الأمة الكورية فى دولتين ، دولة كوريا الشمالية ودولة كوريا الجنوبية المهيمن عليها أمريكا ، ولمواجهة القوة الأمريكية التقليدية والنووية ، بنت كوريا الشمالية مواجهتها وردعها لأمريكا على ثلاث عوامل : الأول : هو التعبئة الثورية العسكرية والسياسية الشاملة لكل الأمة الكورية فى الشمال والجنوب ، بحيث تكون الأمة الكورية فى حالة استنفار عسكرى وسياسى دائم لمواجهة التهديد الأمريكى . والثانى : أن الشعب الكورى أخذ من غذائه وكمالياته ورفاهيته لتشييد قوة ردع تدميرية شاملة نووية وكيميائية لمواجهة قوة الردع النووية الأمريكية ، صحيح أن الردع النووى والكيميائى الكورى ليس فى درجة متعادلة مع قوة الردع الأمريكى ، لكنها كافية تماما لتحقيق هدف الردع إذا ما تذكرنا أنها تجعل من القوات والقواعد الأمريكية فى الجنوب رهينة فى أيدى الكوريين الشماليين . الثالث : نجحت كوريا الشمالية فى بناء قاعد سياسية خلفية مع الصين تكون دعما سياسيا وعسكريا كلها فى مواجهتها مع الإمبريالية الأمريكية .

ان استراتيجية الردع الكورية المثلثة الأضلاع نجحت فى تحييد القوات الأمريكية ، ودفعت اليابان لتطبيع علاقتها معها ، وكوريا الجنوبية للانحناء وتقديم مبادرات التطبيع وفتح الحدود ومطالبة أمريكا بعدم شن أى هجوم على الشمال .

٢-٣ فنزويلا :

قد يرى بعض المحللين أن تجربة فنزويلا ، هذه الدولة الصغيرة ، والتي تعد من أكبر الدول المنتجة والمصدرة للبترول ، وتحتوى على مخزون احتياطي يمتد الى نهاية هذا القرن - قد يرى البعض أنها تجربة ذات صيغة سياسية ، ولكنى على خلاف هذا الرأى أرى أنها تجربة ذات صيغة عسكرية غير مباشرة ، حققت نتائج سياسية مبهرة ، حيث ينتهج شافيز زعيم ورئيس فنزويلا سياسات تحريرية واستقلالية عن الولايات المتحدة الأمريكية ، والولايات المتحدة تعتبر هذه السياسة خطرا يهدد مصالحها الحيوية فى أمريكا اللاتينية كلها ، تلك المصالح القائمة على النهب والاستغلال ، ومن ثم فان أمريكا عملت على إنهاء حكم شافيز واستبداله بنظام عميل لها ، ونجحت فى كسب ولاء عمال وموظفى قطاع البترول فى البلاد وشرائح اجتماعية أخرى تعيش وتتعايش على الوجود الأمريكى ، وحشدت هذه القوى ونظمتها وسلحتها وحركتها لإزاحة شافيز ، وتحركت بالفعل هذه القوى العميلة ، وهاجمت القصر الجمهورى ، وقبضت على شافيز وأودعته سجن العاصمة . كان من الممكن أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ، وتنتهى أسطورة شافيز ويحل محل نظامه نظام آخر عميل لأمريكا ، ولكن لم تمضى أكثر من أربع وعشرون ساعة حتى كانت قوى التحرر الفنزويلية قد نظمت صفوفها ، واستعادت المبادرة ، ودحرت القوى المضادة للتحرر والاستقلال العميلة لأمريكا ، وزحفت على سجن العاصمة واقتحمته وحررت زعيمها شافيز بطل فنزويلا القومى ، وذهبت به الى القصر الجمهورى ليمارس من جديد صلاحياته كرئيس شرعى لفنزويلا ، ولكى يثبت شافيز شرعية حكمه ، نظم انتخابات حرة على موقع الرئاسة فى البلاد ، تحت رقابة منظمات دولية ووطنية ، واكتسح شافيز منافسيه / وهكذا انتصرت العزيمة والإرادة التحررية الفنزويلية على طاغوت العصر ، أمريكا ، ولم تفلح الأسلحة التقليدية ولا الأسلحة النووية فى وقف هذا الانتصار ، لشعب صغير نظم قدراته للاحاق الهزيمة بأمريكا وعملائها .

أما عن التجارب الثلاثة الأخرى التى تحقق فيها نصرا سياسيا حاسما على الولايات المتحدة فهى المواجهة السوفيتية الأمريكية ، والمواجهة الصينية الأمريكية ، والمواجهة الديجولية الأمريكية .

٢-٤ المواجهة السوفيتية الأمريكية :

نريد أولا أن نبتعد بفكرنا وبصرنا عن موقعة انهيار الاتحاد السوفيتى السابق فى النصف الأول من تسعينات القرن الماضى . لأن هذا الحديث يخرج عن سياق دراستنا ، ولكن من المهم أن نذكر هنا أن الدكتور عصمت سيف الدولة ، قد تنبأ فى كتابه " أسس الاشتراكية العربية " بانهايار الدولة السوفيتية بحكم قانون " جدل الإنسان " .

الذى يهمنى هنا ، هو الصراع الذى حدث بين أمريكا والاتحاد السوفيتى بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ مباشرة ، لقد كانت أمريكا والاتحاد السوفيتى ضمن تحالف عالمى ضد النازية والفاشية ، يضم بريطانيا وفرنسا وغيرهما ، دخل هذا التحالف الحرب ضد دول المحور بقيادة ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية وغيرهما من الدول ، واستمرت الحرب حوالى خمس سنوات ، وانتهت بانتصار دول التحالف وصياغة نظام دولى جديد يرتكز على الثنائية القطبية لأمريكا والاتحاد السوفيتى ، بدلا من النظام السابق على الحرب والذى ارتكز على القطبية الجماعية .

فبعد الحرب تحولت العلاقة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي من مرحلة التحالف الى مرحلة الصراع ، لأن كل منهما خرجت من الحرب قائدة وزعيمة لمعسكر مختلف في العقيدة والنظام والمصالح للمعسكر الآخر ، خرجت أمريكا من الحرب زعيمة للمعسكر الغربى الرأسمالى ، وانتظم هذا المعسكر فى حلف الأطنطى ، وخرج الاتحاد السوفيتي منها زعيما للمعسكر الشرقى الاشتراكي ، وانتظم هذا المعسكر فى حلف وارسو ، وتجدد هدف كل معسكر فى إلحاق الهزيمة بالمعسكر الآخر ومحوه من الوجود ، ولكن هذا الهدف العدوانى المتبادل للمعسكرين لم يتحقق طيلة خمسة عقود ، بسبب التوازن الدقيق فى القوى بين المعسكرين ، والسؤال المهم ، هو كيف استطاع الاتحاد السوفيتي أن يحدث التوازن مع أمريكا ، لقد خرجت أمريكا من الحرب وهى القوة النووية الوحيدة فى العالم التى تمتلك قوة التدمير الشامل ، وقد شهد العالم أحوال هذه القوة التدميرية بعد أن ضربت أمريكا هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين بالقنابل النووية ، بعد أن دمرت اليابان الأسطول الأمريكى فى موقعة بيرل هابور فى المحيط الهادى ، والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو لماذا لم تقم أمريكا بضرب الاتحاد السوفيتي عدوها الأول بعد الحرب بالقنابل النووية كما فعلت مع اليابان ؟ خاصة وأن الاتحاد السوفيتي لم يكن لديه بعد الحرب أى إمكانيات نووية . ان بوادر امتلاكه لها كانت فى بداية الخمسينات . السبب فى عدم توجيه أمريكا ضربة نووية للاتحاد السوفيتي يعود الى الدرجة العالية من الدقة والذكاء الاستراتيجي الذى أدار به الاتحاد السوفيتي الأزمة مع أمريكا صحيح أن أمريكا خرجت من الحرب العالمية الثانية وهى الدولة النووية الوحيدة ، ولكن الاتحاد السوفيتي خرج منها بالقوة التقليدية الوحيدة التى لا توازيها أى قوة اخرى خاصة بعد أن تحولت بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية الى دولتين من الدرجة الثالثة لا حول لهما ولا قوة فى مواجهة الجيوش السوفيتية ، كما أن الاتحاد السوفيتي امتلك ميزات استراتيجية تمكنه من احتواء أى ضربات نووي بابتلاع أوروبا الغربية ، وفى هذا تهديد خطير للمصالح (الأمن الأمريكى) . وعلى هذه الأسس أقام الاتحاد السوفيتي التوازن الاستراتيجي بين تفوق أمريكا النووي وبين تفوقه فى مجال الجيوش والأسلحة التقليدية ، أى كل أوروبا الغربية والقوات الأمريكية المتواجدة بها فى مقابل ضرب أمريكا لمدينة أو مدينتين سوفيتين بالقنابل النووية ، واستمر هذا التوازن بين القوتين قائما الى أن تحول الاتحاد السوفيتي هو الآخر الى قوة نووية موازية للقوة النووية الأمريكية ، وهو ما عرف فى تاريخ العلاقات الدولية بتوازن الرعب النووية .. هكذا أدى التوازن بين التقليدى والنووى مهمته الى أن تحقق توازن الرعب النووى .. أى أن انفراد طرف دولى بالقوة النووية لا يعنى العجز عن إحداث التوازن معه . ان قادة الاتحاد السوفيتي لم ينهاروا أمام السلاح النووى الأمريكى ، خاصة بعد استسلام اليابان ، وتميز القادة السوفيت برباطة الجأش والهدوء للبحث فيما لديهم من إمكانيات سياسية وعسكرية لإحداث موازنة مع القوة النووية الأمريكية ووجوده فى تفوقهم الهائل فى الجيوش التقليدية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

٢-٥ المواجهة الصينية الأمريكية :

كانت الصين محتلة من قبل اليابان قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها ، وتشكلت المقاومة الصينية للاحتلال اليابانى من خلال جبهة وطنية صينية من حزب الكيومنتاج بقيادة " صن يات صن " والحزب الشيوعى الصينى بقيادة " ماوتسى تونج " واستطاعت الجبهة تعبئة الأمة الصينية كلها بشرا وامكانية ضد اليابان وانتصرت ، ولكن بعد الانتصار قامت معركة بين الحليفين على الحكم ، واستطاع ماو تعبئة الأمة الصينية ثانية ضد الكيومنتاج المدعو أمريكيا وانتصر عليه ، وتحولت الصين الى دولة ثورية اشتراكية معادية لأمريكا ، ومن جهة ثانية سرعان ما دب الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتي أيديولوجيا واستراتيجيا ، وبالتالي فقدت الصين المظلة النووية السوفيتية التى بدأت فى الظهور فى نهاية الأربعينات (١٩٤٩) وبداية الخمسينات ، والتى كانت تستظل بها فى مواجهة القوة النووية الأمريكية المعادية ، ولكن حاجة الصين للمظلة النووية السوفيتية لم تجعلها تفرط فى استقلالية رؤيتها وقرارها مقابل عدم فقدان هذه المظلة ، ولم تنهار القيادة الصينية أمام القوتين النوويتين المعاديتين لها ، وبحثت عن عوامل القوة لديها لموازنة التفوق النووى للقوتين ، ووجدت ركائز الموازنة فى عاملين عسكري وسياسي

، العامل العسكري يتمثل في تفوقها البشرى الهائل حيث هي أكبر دولة تعدادا في العالم ، ما يؤهلها لأن تكون قوة عسكرية ضخمة تردع أى تهديد نووى لأراضيها ، وفعلا ، استطاعت الصين أن تمتلك أضخم قوة عسكرية تقليدية إقليمية ، ومما عظم من هذه القوة أنها انتظمت في إطار بناء إستراتيجي عسكري يجمع بين أسلوب حرب التحرير الشعبية والحرب النظامية ، ان هذا البناء الاستراتيجي للقوات المسلحة الصينية مكن القيادة الصينية من تعبئة الصين كلها بشرا وأرضا وإمكانيات سياسيا وعسكريا في مواجهة التهديدات النووية ، أصبحت الصين قلعة مقاومة ، في المقابل فان التواجد العسكري الأمريكي في شرق آسيا بدأ يتزايد بعد هزيمة اليابان وصعود الصين ، وخاصة في فيتنام بعد هزيمة فرنسا أمام الفيتناميين في موقعة ديان بيان فو ١٩٥٤ ودخول أمريكا الحرب بدلا من فرنسا في مواجهة الفيتناميين ، وتمركزت القوات الأمريكية في جنوب فيتنام ، مما أدى الى انقسام الأمة الفيتنامية الى دولتين ، دولة متحررة هي فيتنام الشمالية وعاصمتها هانوى ، ودولة فيتنام الجنوبية الخاصة للسيطرة الأمريكية وعاصمتها " سايجون " ووقفت الصين مع فيتنام الشمالية بعمق استراتيجي لها تمدها بكل شئ في حربها ضد أمريكا ، لقد اعتبرت الصين معركة صمود فيتنام وانتصارها على أمريكا معركة الصين الأساسية ، وفي المقابل حشدت أمريكا في فيتنام الجنوبية مع تصاعد العمليات العسكرية مليون ونصف المليون جندي أمريكي لمواجهة حرب الشعب الفيتنامية بقيادة " جنرال جياب " ، وما يهمننا هنا من الحرب الفيتنامية الأمريكية والتي انتهت بانتصار فيتنام الدولة الفقيرة على القوة النووية الأمريكية - ما يهمننا - هو ابراز كيف أحدثت الصين هذا التوازن الرادع الهائل لأمريكا وغيرها ، خاصة اذا ما أضيفت القوة العسكرية الفيتنامية الى قوتها ، لقد استطاعت الصين بذلك أن تجعل القوات الأمريكية في جنوب فيتنام رهينة تحت أقدام العسكرية الصينية . أما العامل الثانى " السياسى " فى بناء استراتيجية الردع التقليدية الصينية ، فهو بناء كتلة عدم الانحياز التى أصبحت لفترة طويلة قوة توازن بين المعسكرين ، لقد بنى هذه الكتلة عبد الناصر وشواين لاي ونهرو وسوكارنو وتيتو ، وكبرت هذه القوة وتوسعت حتى ضمت الغالبية العظمى من دول وشعوب العالم الثالث حتى أصبحت بمثابة القوة الثالثة .

الدرس المستفاد ، هو أن الصين الدولة الفقيرة ، التى كان الأفيون يقطع أنفاس شعبها ، استطاعت أن تحافظ على استقلالها ووجودها ونظامها بمظلة عسكرية وسياسية ابتدعتها القيادة الصينية ، جوهرها الحفاظ على الوحدة الثورية اللازمة للأمة الصينية ، وتعبئتها لتجعل من مليون ونصف المليون جندي أمريكي رهينة لدى الصين .

٢-٦ المواجهة السادسة هي المواجهة الديجولية الأمريكية :

هذا الرجل - ديوجل - هو محرر فرنسا من الاحتلال النازي أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبعد هزيمة دول المحور ، فوجئت أمريكا بالزحف الشيوعى على غرب أوروبا من شرقها ، واستغلت الأحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية بدعم سوفيتى حالة الانهيار التى أصابت بلدان أوروبا الغربية أثناء الحرب ، ولتوقف أمريكا هذا الزحف ، أسست مشروع مارشال لاعادة بناء أوروبا الغربية التى دمرتها الحرب ، وبهذا المشروع تم إعادة بناء أوروبا الغربية بما فيها فرنسا .

رأى ديوجل أن أوروبا منذ منتصف الخمسينات محكومة بظاهرتين ، واحدة اقتصادية والأخرى سياسية وعسكرية ، أما الظاهرة الثانية فهي الصراع بين أمريكا قائدة المعسكر الغربى وحلف الأطنطى ، وبين الاتحاد السوفيتى قائد المعسكر الشرقى وحلف وارسو وامتلاك كل من القطبين ترسانة نووية وصاروخية شكلت رادعا متبادلا لكل منهما يحمى أراضي الدولتين .

وعلى الرغم من أن أمريكا أعلنت أن مظلتها النووية تغطى أوروبا الغربية ، إلا أن ديوجل رأى أن أوروبا الغربية واقعة بين فكى كمامة نووية ، فك أمريكي وفك سوفيتى ، وسوف تعطى أمريكا أولوية

لحماية أراضيها على حساب أوروبا الغربية في حال تهديد نووى سوفيتى ، وأمام هذا الوضع ، والرفض الأمريكى لامتلاك فرنسا قوة نووية ، قرر ديحول التقدم بخطوتين تشكلان معا هزيمة سياسية لأمريكا ، الخطوة الأولى هي الدعوة إلى واتخاذ الخطوات العملية لتوحيد أوروبا الغربية لتصبح قوة سياسية واقتصادية في مواجهة طوفان الرأسمالية الأمريكية التي تهدد هوية الدول الأوروبية الغربية ، ولتصبح أوروبا الغربية بذلك نقطة توازن بين القطبين العالميين ، والخطوة الثانية التي أتخذها ديحول هي بناء القوة النووية الفرنسية المستقلة رغم أنف القوتين النوويتين .

هكذا لم يرى ديحول في تحمل أمريكا عبء بناء أوروبا وحمائتها من الزحف الشيوعى - لم يرى ديحول في هذا قيادا على بناء أوروبا الموحدة وبناء القوة النووية الفرنسية المستقلة حتى لو اقتضى ذلك تجميد عضوية فرنسا في حلف الأطنطى .. ذلك لتحرير أوروبا من الهيمنة الأمريكية وتوحيدها .. لم يمنع ديحول من السعى لتوحيد أوروبا تعدد القوميات الأوروبية ، فالخطر كان أكبر من القوميات ، وعلى القوميات أن تتوحد لمواجهة الخطر ، وانتصر ديحول في حياته وانتصر مشروعه بعد مماته ، فهل نعى الدرس ؟.. خاصة ونحن أمة واحدة ولسنا أمما متعددة ؟..

٣- نعود لطرح السؤال مرة أخرى ... هل نستطيع أن نهزم أمريكا ؟..

في دراسة كتبها قبل احتلال العراق ، وتحت نفس العنوان قلت فيها : " .. ونحن لسنا أقل من هذه الأمم التي ذكرناها .. نحن أمة القتال والاستشهاد دفاعا عن ديننا ووطننا ، ونحن أمة حباها الله بموقع " متحكم ممتاز " وبإمكانات هائلة ومنفردة ، وبكثافة سكانية عالية .. تحتضن الملايين من أبناء الأمة ذوى التخصصات والكفاءة النادرة في كل فروع العلم والمعرفة .. ونمتلك جيوش نظامية إذا اجتمعت فإنها تتفوق على قوات العدو عددا وعدة وفقا لتقارير المعاهد الاستراتيجية الدولية ونحن نمتلك ميزات استراتيجية عسكرية هائلة لا يمتلكها عدونا مثل المساحة وعدد السكان ، ونحن نمتلك الأهم من ذلك وهو الكره الشعبى الشديد لأمريكا والصهيونية .. ونضيف الى ما سبق كله العمق الإسلامى للأمة العربية ، أى عمقها في أمتها الإسلامية ، حيث الشعوب الإسلامية كلها مستنفرة ضد الشيطان الأمريكى الصهيونى الذى يستهدف الإسلام والمسلمين ، وكلها مستعدة لأن تتلاحم مع الشعب العربى إذا ما نهض لمقاومة وهزيمة طاغوت العصر ، نحن نستطيع إذا أردنا وصممنا أن نشعلها نارا تحرق الأمريكان والصهاينة فى كل شبر من أرض العرب والمسلمين ..)

وقلنا (.... وما الذى ينقصنا حتى ننهض ونتحدى ونردع عدونا وننتصر عليه كما انتصر الآخرون ؟..) وحددنا الشروط التي يجب أن تتوفر لانتصارنا على عدونا فى الآتى :

(١) إيمان لا يتزعزع بنصر الله .. وبعدالة قضيتنا " إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " .
(٢) إيمان لا يتزعزع بأننا أمة واحدة .. شعب واحد .. تجمعنا وحدة التاريخ ووحدة المصير ، وأن وجودنا كلنا ، أمة ودولا فى خطر .

(٣) بناء حلف قومى ، عسكري وسياسى ، دفاعى / هجومى ، ليس شرطا أن تنضم إليه كل الدول العربية ، وفى نفس الوقت ليس بابه مغلقا أمام أى دولة ، وأن يعتمد هذا الحلف استراتيجية للنهوض (ديموقراطية) والمقاومة (حرب الشعب) والحرب النظامية (القوات المسلحة) ضد المصالح الأمريكية والوجود الأمريكى فى وطننا العربى ..)

قلت هذا قبل احتلال العراق ، بعد أن استخرجت من تجارب الأمم التي ذكرتها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، قواعد التوازن بين الأمم المستضيفة والدول المستبدة المهيمنة ، ومرتكزا أيضا ، على أن الخطر الأمريكى الصهيونى خطر عظيم ، يهدد وجودنا كأمة عربية ، ويهدد أيضا وجود كل الدول العربية (وثيقة بوش / وثيقة استراتيجية اسرائيل فى الثمانينات) . والمنطقى إذا ما خلصت النوايا لله والأمة وحتى النفس ، أن يهب الحكام العرب ، ليس دفاعا عن العراق وصدام حسين ، وانما دفاعا عن

أنفسهم ودولهم وهم الذين أدوا قسم الولاء دفاعا عنها ، فيشكلون حلفا قوميا يعبئ الأمة ودولها في مواجهة الخطر الأمريكى / الصهيونى .

ولكن ما حدث من الحكام قبل الغزو وبعد الاحتلال كان عكس هذا المنطق تماما :
(١) هؤلاء الحكام ، وفقا لما نشر فى وسائل عديدة ، اشتركوا مع العدو فى التخطيط . (وضع الخطط للغزو والاحتلال) والتنفيذ (المساهمات الفعلية فى العمليات العسكرية : الأرض العربية كانت قواعد لانطلاق القوات البرية والجوية والصاروخية + عمليات الإمداد والتموين والترويح) .

والأمر من ذلك ، أن حاكم أكبر دولة عربية ، رفض طلبا بدرجة الرجاء من القيادة العراقية باستقبال الأطفال والنساء ، بعد أن اعترضت أمريكا وحذرت من مغبة الاستجابة لهذا الرجاء ، لهذه الدرجة وصلت المواولة لأعداء الأمة على حساب عقيدة وتقاليده وشرف الأمة .

(٢) أعلن الحكام العرب - إلا من رحم ربي - أن العلاقات بينهم وبين أمريكا علاقات استراتيجية .

(٣) أعلن حاكم أكبر دولة عربية ، الدولة القاعدة والقاعدة - أن العلاقات بين مصر وأمريكا علاقات استراتيجية ، وهى علاقات تغلبت على صعوبات كثيرة ، وهزمت العدوان ، ومعنى هذا واضح تماما ، فالعلاقات الاستراتيجية تعنى اتفاق أطرافها على أهداف معينة دولية واقليمية ، فإذا كان بوش قد حدد هدف أمريكا فى وثيقة المسماة باسمه ، فى عدم وجود قوة تعادل قوة أمريكا ، وفى تفكيك الدول العربية ، فإن القيادة المصرية وفق ما أعلنت متفقة معه تماما فى تحقيق هذا الهدف ، هذا التكيف للعلاقة ينطبق على كل الدول العربية ان الشراكة الاستراتيجية مع أمريكا .. أليست كل الدول العربية الا دولة واحدة لها علاقات استراتيجية معها ؟، على الرغم من احتلال العراق وأسر رئيسه وعلى الرغم من العلاقة الخاصة بين أمريكا والصهيونية .. وهل هناك فرق بين أمريكا والكيان الصهيونى (اسرائيل)؟..

(٤) كتب أشرف العشرى من الجزائر ، بجريدة الأهرام يوم ٢٦ فبراير ٢٠٠٦ .. كتب يقول : " فجأة وجدت الولايات المتحدة الأمريكية أن حملتها لمكافحة الإرهاب لم تؤت ثمارها ، وما زالت ناقصة حيث يشوبها العديد من الفشل والتعثر فى أماكن عديدة من العالم ، حيث اكتشفت أن مكنم الخلايا النائمة للقاعدة وقلوب الإرهاب تعيد تجميع نفسها من جديد فى منطقة المغرب العربى والساحل الأفريقى ، وبالتالي لا بد من تركيز الاهتمام وتدشين الحرب الاستباقية فى تلك المنطقة مهما كلف الأمر من جهد ومساعدات عسكرية ..

وبالفعل حضر دونالد رامسيفيلد وزير الدفاع الأمريكى على رأس وفد عسكري واستخباراتى أمريكى رفيع لدول المنطقة تونس والجزائر والمغرب ، مقدا العديد من المبادرات ، بعد أن أثار حفيظة قادة هذه الدول (المغرب العربى) بخطورة بؤرة الإرهاب الجديدة التى يجرى تشكيلها فى هذه المنطقة ، ورفض العودة قبل أن يفتتح هؤلاء القادة باتفاق شراكة عسكرية ثلاثية لقوات هذه الدول مع الولايات المتحدة ، تبدأ عملها خلال الأسابيع المقبلة ، عبر الأعداد والتجهيز لإنشاء هذه القوات فضلا عن تسير المناورات المشتركة لضرب معقل الجماعات الإرهابية ... قبل أن تتمكن هذه الجماعات من تدشين اتفاق تعاون كامل للتخطيط لعمليات إرهابية ضد المصالح الغربية والأمريكية فى أوروبا) ..

وباختصار شديد نعود ونؤكد على ما تعلمناه من الدكتور عصمت سيف الدولة ، وهو أن التجزئة العربية ، الدول العربية ، أخطر على وجود الأمة وعلى المقاومة من أمريكا والصهيونية ، لأنها تشكل سدودا مسلحة تمنع التحام الشعب العربى بالعدو الأمريكى الصهيونى ، بل وفوق ذلك تشكل مع العدو تحالفا استراتيجيا عسكريا وسياسيا يستهدف وجود الأمة وتفتيت الدول العربية ذاتها .

ولذلك نعود ونؤكد على ما قاله الدكتور عصمت سيف الدولة فى مقالة بعنوان " تفتت الولايات المتحدة الأمريكية ووحدة الأمة العربية " .. اذ يقول : " تأتى المشكلة الأصل ، أم المشاكل التى تعوق وتعطل حل كل المشكلات الأخرى ، أن الأمة العربية لا تملك أداة حل أية مشكلة أخرى ، لا مشكلة التجزئة ولا مشكلة السيطرة العالمية ... الأمة تفتقد التنظيم ، الجهاز ، الذى يجمع شباب الأمة ومقاتليها لمواجهة سدود التجزئة والاشتباك مع العدو الأمريكى الصهيونى على كل الأرض العربية ، وفى كل أنحاء العالم (مواجهة الجيش الرابع الأمريكى) وتدمير مصالحه وتحقيق النصر عليه ، وليس شرطا أن يكون هذا التنظيم حزبا فوقيا واحدا ، اذ ترشح الظروف الآن أن يأخذ هذا التنظيم شكل الجبهة القومية .

هذه هى القضية الأساسية للأمة العربية ، قضية تحقيق الجبهة القومية .

ان هذا التنظيم " الجبهة القومية " هو الذى سيجسد فى ذاته الوحدة الثورية للأمة العربية نقيضا لحالة التجزئة الاستعمارية الصهيونية . وهو الذى سيجسد فى ذاته وحدة القيادة الثورية للأسلحة بديلا ونقيضا أحكام التبعية وموالة الأعداء ، وهو الذى سيجسد فى ذاته وحدة التخطيط والتوظيف بكل إمكانيات الأمة البشرية والمادية والروحية فى محاربة الأعداء والانتصار عليهم وتحرير الأراضى العربية المحتلة والغاء التجزئة واقامة المشروع الوطنى الإسلامى ..

ومن المهم أن نؤكد أن ليس المطلوب أن يتوقف الشباب العربى عن منازلة العدو فى كل مكان ، والحاق الهزائم به حتى يتوافر هذا الشرط - الأداة - وانما المطلوب أن تعى الطليعة من الشباب العربى ، أن الاشتباك اليومى مع العدو ، انما يوفر الظروف القومية لاقامة الأداة القومية ، أداة تحقيق النصر الاستراتيجى على العدو .

.... أليس هذا هو الدرس الذى طلعتنا به من التجارب التى ذكرناها / وعلى وجه الخصوص ، تجارب فيتنام وكوريا وفنزويلا ، ألم تتحقق وحدة الأمة ووحدة القيادة ووحدة التنظيم لمواجهة العدو والانتصار عليه بوحدة تنظيم الجبهة ، أو ان شئت الدقة بالجبهة (القومية الثورية ، فى فيتنام تجسدت فى " الفيت كونج " وفى كوريا تجسدت فى " الحزب الشيوعى " ، وفى فنزويلا تجسدت فى الجبهة الوطنية الثورية ..

الخلاصة .. أنه على الشباب العربى أن يستمر فى النزال والاستشهاد ويسرع فى تأسيس الجبهة القومية الثورية ، حتى تمتلك بإذن الله ، شرط تحقيق النصر على كل المشاكل وأهمها مشكلتى التجزئة والسيطرة العالمية الصهيونية